الفصل الأول

نشأة الفقيد العائلية والوطنية

ولد «محمد فريد» بمدينة القاهرة يوم الإثنين ٢٠ يناير سنة ١٨٦٨م (٢٥ رمضان سنة ١٢٨٤هـ)، قبل ميلاد مصطفى كامل بنحو سبع سنوات.

نشأ في بيت مجد رفيع العماد؛ فهو ابن «أحمد فريد باشا» الذي صار ناظرًا للدائرة السنية سنة (١٨٨٦م)، وكان من كبراء مصر المعدودين، واشتهر بعلو النفس والأخلاق القويمة، مما كان له أثره في نشأة المترجم.

والد المترجم[١]

هو المرحوم «أحمد فريد باشا»، قدم جده الأعلى عثمان أفندي إلى مصر في أوائل سني الفتح العثماني، وتولى وظيفة «كتابة العملة»، وكانت من أرفع مناصب الحكومة ولا تمنح إلا بموجب فرمانات، وظلت هذه الوظيفة تنتقل بين أعقابه وذريته حتى انتهت إلى المرحوم أحمد أفندي ابن أيوب أفندي جد المترجم.

ولد «فريد باشا» سنة ١٢٥٢هـ (١٨٣٦م) وتربى في مهد العز والمجد، وأشرب التربية القويمة والأخلاق الفاضلة، وتعلم في مدارس الحكومة، وبخاصة في المدارس الحربية، وعين في سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٣م) ناظر قلم التحريرات بمصلحة السكة الحديدية براتب مقداره (٢٥ جنيهًا)، ثم أنعم عليه بالرتبة الثالثة وزيد راتبه إلى (٣٠ جنيهًا)، وظهرت مزاياه من الكفاية والنزاهة فصار ناظر قلم حسابات هذه المصلحة سنة ١٢٨٢هـ (١٨٦٥م)، ثم ناظر قلم قضاياها، وأنعم عليه بالرتبة الثانية سنة ١٢٨٥هـ (١٨٦٨م)، وفي سنة (١٨٧٣م) رقي إلى وظيفة وكيل عموم المصلحة، وأنعم عليه برتبة المتمايز سنة (١٨٧٥م).

---

(١) في «لسان العرب» ج١٥ ص١٢٠: ترجمه وترجم عنه بمعنى.

وفي (١٦ إبريل سنة ١٨٧٧م) انفصل عن خدمة السكة الحديدية بعد أن قضى بها تسع عشرة سنة، وذلك على إثر التعبيرات التي طرأت على نظامها في أواخر عهد الخديوي إسماعيل بطلب الدول الأوربية؛ إذ عينت لجنة مختلطة لإدارتها برئاسة الجنزال «ماريوت» MARIOTT الإنجليزي، وصارت وظيفة وكيل المصلحة لا تتفق وهذا التغيير، فألغيت واستغني عن خدمته، وكتب إليه الجنزال «ماريوت» لهذه المناسبة كتابًا رقيقًا يدل على تقديره له والثناء عليه، وهذا نصه:

«ترجمة إفادة رقم (١٦ إبريل سنة ١٨٧٧م) لحضرة فريد بك من جناب الجنرال مريوط رئيس قومسيون السكة الحديد:

لقد شق جدًّا على سعادة إسماعيل باشا يسري وعليَّ، عدم تيسر وجود محل لحضرتكم بمصلحة الإدارة الجديدة، ووظيفة حضرتكم بصفة وكيل عموم التي كانت ضرورية حينما كانت المصلحة تحت إدارة مدير واحد، ليس لها لزوم الآن بالنظر لوجود جملة أعضاء بالمصلحة، وقد تشرفت بتبليغ الحضرة الخديوية المدح الذي حصل في حق حضرتكم من سعادة زكي باشا مدير عموم السكة سابقًا ومن سعادة إسماعيل باشا مع الميل منا لجهة حضرتكم، وقد شعرنا أنه لا يناسب العجلة في ذلك مراعاة لخاطر حضرتكم؛ ولكن حيث أن الآن عضو آخر منتظر حضوره هنا في ظرف يوم أو يومين، فقد حان الوقت الذي فيه يلزمنا تنفيذ تصريح الحضرة الخديوية بالاستغناء عن الوظيفة المذكورة آنفًا، لكن اعتقادي أن الجناب الخديوي ينتهز أي فرصة لاستخدم حضرتكم، وبذلك لا يدعو الحال للتوصية، ومع كل فإن أنسر إذا تيسر لي مساعدة حضرتكم في هذا الشأن ثم وماهية عزتكم محسوبة لغاية آخر الشهر الحاضر».

١٦ إبريل سنة ١٨٧٧م

إمضاء

محبكم مريوط

ولم يمض على انفصاله عن خدمة السكك الحديدية شهر وبضعة أيام حتى صدر أمر عال بتعيينه عضوًا بمجلس الأحكام في (٢٥ يونية سنة ١٨٧٧م) براتب شهري مقداره (٦٠ جنيهًا)، ثم عين في السنة نفسها مديرًا للشرقية، ثم نقل مفتشًا لحسابات دوائر العائلة الخديوية، وفي (١٣ فبراير سنة ١٨٧٨م) عين محافظًا لدمياط، وانفصل منها في (١٦ نوفمبر) من السنة المذكورة لأسباب صحية، وفي (٩ يناير سنة ١٨٧٩م) عين مديرًا للمنيا، ثم مديرًا للقليوبية سنة (١٨٨٠م)، ثم عاد مديرًا للشرقية، وأنعم عليه برتبة الباشوية، وهذا نص الأمر العالي الصادر له في هذا الصدد:

«إنه بناء على أهليتكم ودرايتكم وقيامكم بتأدية الخدمات المهمة التي أحيلت على عهدتكم قد أنعمنا عليكم برتبة المرميران الرفيعة وعيناكم مديرًا للشرقية».

ثم عين مديرًا للدائرة البلدية بمصر في (٩ فبراير سنة ١٨٨٢م) بمرتب (١٠٠ جنيه) في الشهر. وفي سبتمبر من تلك السنة أعيد إلى مديرية الشرقية لثالث مرة، وفي ديسمبر سنة (١٨٨٣م) عين مديرًا للغربية، وفي (إبريل سنة ١٨٨٤م) نقل إلى الدائرة البلدية بمصر ثانيًا.

وفي (يولية سنة ١٨٨٦م) صدر أمر عال بتعيينه ناظرًا للدائرة السنية[1] براتب شهري قدره (١٢٥ جنيهًا)، وظل يشغل نظارتها حتى سنة (١٨٩٤م)، وترك بها ذكرًا عاطرًا وصفحة بيضاء مجيدة؛ فقد تولاها وإدارتها مختلة، وعجز إيراداتها في سنة (١٨٨٦م) يبلغ (٢٦١,٢٩٠ جنيهًا)؛ فأخذ يقوِّم المعوج من شئونها ويبعث روح الاستقامة والنزاهة والنشاط في نواحيها؛ فأخذ العجز يتلاشى، ثم زاد الإيراد عن المنصرف سنة (١٨٩١م) (٤٦,٢٥٤ جنيهًا)، فكانت إدارته مفخرة له وموضع إعجاب مواطنيه، وأنعم عليه الخديوي برتبة روملي بكلر بك في ٢٢ صفر سنة ١٣٠٦هـ (أكتوبر سنة ١٨٨٨م) ثم بالنيشان المجيدي من الدرجة الأولى في (أواخر

(١) مجموعة الأوامر العالية سنة (١٨٨٦م) ص٤٤٢.

فبراير سنة ١٨٩٢م)، وذلك بصفة استثنائية تقديرًا لخدماته في الدائرة السنية، وهذا نص الأمر العالي الصادر بذلك:

«أنعم الجناب الخديوي المعظم بصفة استثنائية بالنيشان المجيدي من الدرجة الأولى على سعادة أحمد فريد باشا ناظر الدائرة السنية؛ مكافأة له على ما حصل عليه من خلال سنة (١٨٩١م) من النتائج التي لم يسبق لها نظير».

وأخذت زيادة الإيرادات عن المصروفات في اطراد عامًا بعد عام حتى بلغت سنة (١٨٩٤م) (١٩٢,٧٥٣ جنيهًا)، وبلغ مجموع الزيادة في عهده بعد خصم العجز (٦٦٠,٧٧٠ جنيهًا)، وازدادت مكانته علوًّا لما بدا منه من الحزم والتنظيم والكفاية والنزاهة في هذا المنصب السامي.

ويدلك على مكانته الاجتماعية والسياسية أنه لما حدثت أزمة إقالة الوزارة الفهمية في (يناير سنة ١٨٩٣م) على عهد الخديوي عباس[1]، وأسند الخديوي الوزارة إلى حسين فخري باشا، واعترض اللورد كرومر على هذا التغيير، وأراد الخديوي أن يحل الأزمة فاستدعى رياض باشا وعهد إليه تأليف الوزارة مع بقاء الوزراء عينهم في وزارة فخري باشا، فوعده رياض باشا بالتفكير في ذلك وانصرف؛ فرأى الخديوي من جوابه روح التردد، فأوفد إليه أحمد فريد باشا ليقنعه بالقبول حلًّا للأزمة؛ فقام فريد باشا بهذه المهمة، وأقنع رياض باشا بتأليف الوزارة وعاد فأخبر الخديوي بذلك، وانتهت الأزمة.

(١) راجع تفصيلها في كتابنا «مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية» ص٣٠٦ وما بعدها، من الطبعة الأولى وما يقابلها من الطبعات التالية.

أحمد فريد باشا ناظر الدائرة السنية
(والد المترجم محمد فريد)

فلما استقالت وزارة رياض، وخلفتها وزارة نوبار في (إبريل سنة ١٨٩٤م)، لم تنظر إليه الوزارة النوبارية بعين الرضا، لميوله الوطنية، ولم يرق نوبار أن يكون من رجال الحكومة رجل بصفاته، مستقل الرأي أبي النفس، لا يعرف للأجنبي فضل الامتياز على الوطني أو تقديس أوامره، وما زال يسعى به حتى استصدر من الخديوي أمرًا بإحالته إلى المعاش في (٢٣ سبتمبر سنة ١٨٩٤م).

قالت جريدة «المؤيد» في هذا الصدد ما خلاصته: إن إحالته إلى المعاش كانت عقب بيع الحكومة أملاك الدائرة السنية لشركة أجنبية؛ إذ كان في مقدمة المنتقدين لهذا التصرف مع وجود جماعة من الوطنيين كانوا يرغبون شراءها بثمن أكثر «فخروجه من خدمة الدائرة يومئذ كان عملًا وطنيًّا شريفًا، سجل له صفحات تاريخ أعماله فوق ما كان له من الأعمال الوطنية الكثيرة في تلك المصلحة وغيرها»(١).

وقد أنجب من البنين إثنين وهما: **المترجم، وإبراهيم فريد بك** القاضي بالمحاكم الأهلية، ومن البنات أربعًا وهنَّ:

١ - **«زهرة هانم»** زوجة محمد بك عبد الواحد عرفة، ووالدة كل من أحمد بك فريد وحسين فريد بك (وكيل الجمعية الزراعية سابقًا)، ومنيرة هانم زوجة أحمد بك حبيب من أعيان المنوفية، وعزيزة هانم زوجة عبد العزيز رفعت سامي.

ثم ٢ - **«نفيسة هانم»** زوجة سليمان بك شوقي، ووالدة يوسف فريد ومصطفى فريد وإبراهيم فريد وإسماعيل فريد وعباس فريد والسيدة عطية فريد.

ثم ٣- «منتهى هانم» روجة محمد بك كمال بيومي، ووالدة كل من أحمد كمال رياض والسيدة عقيلة هانم زوجة محمد بركات بك (رئيس النيابة)(٢).

ثم ٤ - «فاطمة هانم» زوجة سليم أفندي سري، ووالدة كل من السيدة جليلة هانم زوجة محمد بك عرفة ووالدة على بك فريد (المدير العام لمصلحة المباني سابقًا)، والسيدة زينب هانم زوجة إسماعيل بك حافظ، ووالدة محمد أفندي فريد حافظ.

---

(١) «المؤيد» عدد (١٠ مارس سنة ١٩٠١م).

(٢) توفي إلى رحمة الله بعد ظهور الطبعة الأولى.

وفاة والد المترجم

توفي أحمد فريد باشا (يوم ١٠ مارس سنة ١٩٠١م)، فعمَّ الأسف عارفي فضله؛ لما كان له من المنزلة الرفيعة في قلوبهم، وشيعت جنازته في اليوم التالي، وقد سار فيها جموع المعزين من العلماء والأعيان والموظفين وجميع الطبقات، يتقدمهم سعيد بك (باشا) ذو الفقار نائبًا عن الخديوي عباس إلى أن وري التراب في مدفنه بقرافة السيدة نفيسة.

قال (المؤيد) في نعيه: «توفي إلى رحمة الله تعالى اليوم المغفور له أحمد فريد باشا ناظر الدائرة السنية سابقًا، ووالد حضرتي الفاضلين محمد بك فريد المحامي الشهير، وإبراهيم بك فريد القاضي بمحكمة مصر الابتدائية الأهلية عن نحو (٦٥ سنة)، وكان رحمه الله من كبار أركان الحكومة وقد خدمها بالصدق والهمة الشماء، فإن نعيناه اليوم للقراء فإنما نذكرهم بخلاله الشماء وأعماله الجليلة المسطورة التي ذكرها خير عزاء للمصابين بفقده».

والدة المترجم

هي السيدة «بمبة هانم» كريمة المرحوم إبراهيم أفندي قاضي البهار[1]، ابن المرحوم محمد أفندي قاضي البهار، من كبار سراة العاصمة وتجاره، وكانت سيدة فاضله، عالية النفس، محبة للخير، كريمة الأخلاق، شريفة حسينية؛ إذ كانت والدتها من نسل الحسين رضي الله عنه، ومن سلالة الخلفاء العباسيين، وقد تزوج بها فريد باشا سنة (١٨٦٠م)، وكان لها ولا ريب فضل كبير فيما اتصف به الفقيد من صفاء النفس وكرم الأخلاق.

(١) عميد التجار المستوردين لهذا الصنف والمتعهد بجمع الضرائب عنه وتوريدها للحكومة، وكان له شأن كبير في ذلك العصر.

نشأة الفقيد المدرسية

أدخله أبوه المدارس الأميرية، فأظهر فيها ذكاء جعل له مركزًا ممتازًا بين أقرانه، وعرف في سني دراسته بطيب القلب والصراحة ودماثة الخلق، مما حببه إلى نفوس إخوانه وأساتذته.

نيله شهادة الحقوق

وقد نال شهادة الحقوق في (مايو سنة ١٨٨٧م) من مدرسة الحقوق التي كانت تسمى وقتئذ (مدرسة الإدارة)، وكان زملاؤه المتخرجون معه في تلك السنة هم: عبد الله أفندي الطوير (بك)، محمد أفندي علي عزت (بك)، أحمد أفندي زكي (باشا)، عمر أفندي لطفي (بك)، أحمد أفندي عبد الرازق (بك)، إبراهيم أفندي زكي (بك)، علي أفندي فهمي (باشا)، عبد اللطيف أفندي محمد (بك)، حافظ أفندي عبد النبي (بك)، محمد أفندي توفيق (بك)، حسن أفندي السداوي، مصطفى أفندي حلمي (بك)، محمد أفندي سعيد كامل، عبد الحميد أفندي حلمي (بك).

زواجه

تزوَّج في (يونية سنة ١٨٨٨م) بالسيدة «عائشة هانم» كريمة السيد إسماعيل حافظ، وحفيدة السيد محمد شلبي العباسي سليل الخلفاء العباسيين، وهي قريبة له من جهة والدتها؛ إذ هي بنت عمته، وهو ابن خالها، وكان زواجه بها من أفراح العظماء التي استرعت الأنظار؛ كتبت عنه «الوقائع المصرية» (عدد يولية سنة ١٨٨٨م) تحت عنوان (الأفراح عند سعادة فريد باشا) مما لا تكتبه الجريدة الرسمية إلا عن أفراح البيت المالك، وهذا يدلك على عظم مكانة فريد باشا، وقد ندب الخديوي توفيق بعض رجال المعية ليبلغه تهانئه، قالت «الوقائع» في وصف حفلة الزواج ما يأتي:

«من نحو أسبوعين أقيمت الأفراح في دار صاحب السعادة أحمد فريد باشا ناظر الدائرة السنة احتفاءً بتأهيل حضرة نجله الأول محمد بك فريد، ووزعت تذاكر الدعوة على المدعوين لحضورهم في ليلتي الأحد والإثنين من هذا الأسبوع، وفي أثناء الأسبوعين كان منزل سعادة الباشا المشار إليه في شبرا مجتمعًا لوفود المهنئين ومنتدى سرور للحاضرين، جامعًا لأشتات ما تفرق من دواعي المسرات، ولما كانت ليلتا الدعوة توارد في الأولى العدد العديد من حضرات العلماء الأعلام وتجار العاصمة وكثير من أعيانها وجم غفير من ذوي الرتب والوجاهة من البلاد الريفية كمديرية الشرقية والدقهلية والغربية ومحافظة دمياط والمديريات القبلية القريبة وغيرهم مما لا يحصون عددًا، وفي الليلة الثانية توافد على المنزل كل أكابر العلماء الفضلاء، وأعظم الأمراء وأماثل الوجوه والأعيان، وفي مقدمة الجميع دولتلو رياض باشا رئيس مجلس النظار وحضرات النظار الكرام، وبالجملة لا يحسب مبالغًا من يقول: إنه وفد في تلك الليلة جميع كبراء موظفي الحركة السنية بين وطنيين وأجنبيين، ومشاهير الذوات والأمراء والأعيان. أما الليالي فكانت بضوئها نهارًا، وبرونقها كمال كمال، باهت بزينتها وفاقت بمسرتها أمثالها من ليالي الأفراح، وقد كانت الموسيقى الأميرية تحي الوافدين على اختلاف درجاتهم بتلحين الابتهاج، وتعزف تارة بالعربية وآونة بالإفرنجية على حسب المقامات والأوضاع، وكان هناك من عساكر البوليس ما فيهم الكفاية لمنع الزحام وابتدار السلام، ولا تسل عن جلوة صاحب العرس (العريس) فقد كانت مناط المسرة وملاك للبهجة، ابتدأت مسيرها المنظم بعزف الموسيقى ودعاء كل العساكر للجناب العالي الخديوي بطول البقاء والدوام، ثم سارت والموسيقى والعساكر النظامية أمامها بالشموع على هيئة تأخذ بمجامع القلوب بهاء وجمالًا، وختمت مسيرها بمثل ذلك الدعاء للجناب العالي، حفظه الله وأبقاه، ولقد كان سعادة فريد باشا وجميع أعضاء عائلته الموقرة في غاية من اليقظة لإرضاء كل الوافدين ومؤانستهم على ما يليق بكل واحد منهم من الإكرام، والذي زاد سرور ذوي الفرح عمومًا، وسعادة فريد باشا خصوصًا أن

صدرت الإدارة السنية بتكليف بعض رجال المعية السنية العظام أن يبلغ سعادة فريد باشا تهاني الحضرة الفخيمة الخديوية، فكان لهذا النبأ الموقع الجميل في أفئدة العموم، لا زال الجناب العالي مصدرًا للجميل مسديًا المخلصين من رعاياه كريم خيره ورضاه، آمين»[1].

وكانت زوجة الفقيد من فضليات النساء، وهي خير مثال للزوجة الصالحة، وعنوان الوفاء لزوجها العظيم؛ شاركته السراء والضراء، وكانت له في حياته الوطنية نعم العضد الصادق الأمين، وظلت بعد وفاته باقية على عهده، حتى توفيت في (يناير سنة ١٩٣٣م)، ودفنت بجواره في قرافة السيدة نفيسة.

أولاده

رُزق المترجم من زوجته بولدين وهما: عبد الله فريد نجله الأول، وقد توفي وله من العمر سنتان؛ ثم الأستاذ عبد الخالق فريد وكيل نيابة بني سويف، ثم قاض بالمحاكم الوطنية، بارك الله فيه، وأربع بنات وهنَّ: فريدة هانم كبرى كريماته حرم الدكتور حيدر الشيشيني بك، والمرحومة لطيفة هانم زوجة حسين (بك) فريد، وقد توفيت سنة (١٩١٦م)؛ وبنتان لم تتزوجا وهما: الآنسة فائقة وقد توفيت سنة (١٩١٥م) غير متجاوزة اثنتى عشرة سنة؛ والآنسة حميدة وقد توفيت سنة (١٩٢٩).

(١) «الوقائع المصرية» عدد (الإثنين ٢ يولية سنة ١٨٨٨م) ٢٣ شوال سنة ١٣٠٥هـ.

لطيفة هانم (زوجة حسين بك فريد) الآنسة فائقة
توفيت سنة ١٩١٦ توفيت سنة ١٩١٥

الآنسة حميدة فريدة هانم
توفيت سنة ١٩٢٩ (زوجة الدكتور حيدر الشيشيني بك)

محمد فريد وكريماته الأربع (سنة ١٩٠٥)

التحاقه بالمناصب

بعد أن تخرج المترجم من مدرسة الحقوق (الإدارة) عين في (٢١ مايو سنة ١٨٨٧م) بوظيفة مترجم بقلم قضايا الدائرة السنية براتب شهري قدره (١٠ جنيهات)، وفي (١٤ يونية سنة ١٨٨٨م) رقي وكيلًا لهذا القلم براتب (١٥ جنيهًا) شهريًّا، وأنعم عليه بالرتبة الثانية (البكوية) في (أغسطس سنة ١٨٩١م)، وفي الرابع من هذا الشهر نقل إلى النيابة العمومية بوظيفة مساعد نيابة من الدرجة الثانية بمرتب شهري قدره (١٦ جنيهًا) شهريًّا، وانتدب بنيابة محكمة مصر الابتدائية،

وزيد راتبه إلى (١٨ جنيهًا) من (أول يناير سنة ١٨٩٢م)، ثم انتدب لنيابة الأزبكية، ورقي وكيل نيابة من الدرجة الثالثة سنة (١٨٩٣م)، وفي سنة (١٨٩٤م) بلغ راتبه عشرين جنيهًا، وفي (مايو سنة ١٨٩٥م) نقل وكيلًا بنيابة الاستئناف[1]، وأظهر في النيابة اقتدارًا وكفاية جعلا له مركزًا ممتازًا في الحكومة، وتفتحت أمامه أبواب التدرج إلى كبرى مناصب الدولة، لولا ما اعترضه في سبيلها من التطلع إلى الجهاد في سبيل الوطن كما سيجيء بيانه.

(١) نقلًا عن ملف خدمة الفقيد المحفوظ بدار المحفوظات العمومية، دولاب ١٦٨، رف ٤.